حتى نهلكم قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه اى امتحنه ربه بالنعم فاكرمه اى بالمال ونعمه اى بما وسع عليه فيقول ربى اكرمني اى بما اعطانى من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعنى بالفقر فقدر عليه اى فضيق عليه وقيل قتر رزقه اى وقد اعطاه ما يكفيه فيقول ربى اهانني اى اذلنى بالفقر قيل نزل فى امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحد بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى عن ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى كلا اى ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لاهانته فاخبران الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق بل لا تكرمون اليتيم اى لا تعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون تحت حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه ولا تحضون على طعام المسكين اى لا تطعمون مسكينا ولا تامرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اى الميراث اكلا لما اى شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النسا والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذى ياكل كل شى يجده لا يبالى احلال ام حرام وياكل الذى له ولغيره وتحبون المال حبا جما اى كثيرا والمعنى تحبون جمع المال وتولعون به وتحبونه كلا اى ما ينبغى ان يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تاهبهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شى عليها من جبل وبنا وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شى وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عليه السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وامروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين وقال ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل فى تاويلها وجاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء ايات دلائل فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الايات والملك صفا صفا اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجى يومئذ بجهنم يعنى يوم القيامة بجهنم قال ابن مسعود فى الاية ان تقاد جهنم بسبعين الف زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنتصب على يسار العرش يومئذ يعنى يوم يجاء بجهنم يتذكر الانسان اى يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتنى قدمت لحياتى اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الاخرة التى لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اى لا يعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعنى لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق وهو الاسار فى السلاسل والاغلال وقرى لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه ولا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقوفة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها

لكن هذا انما كان ملتفتا الى غير الله غير مطمئن باسمه واما المطمئن باسمه فلا يبالى لا بزلزلة الارض ولا لرؤية الملائكة ولا جهنم بل يقال له يا ايتها النفس آه

وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الامنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل فى خبيب بن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى ابى بكر الصديق والاصح ان الاية عامة فى كل نفس مؤمن مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعى الى ربك اى الى ما وعد ربك من الخير والثواب قيل يقال لها عند خروجها من الدنيا قال عبد الله ابن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقولان اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عليك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجد احد فى انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح فان كان معه شى من القران كفاه نوره وان لم يكن جعل له فيه نورا مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه فاذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قولها ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث فيامر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما اعد الله لك مرضية اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها فادخلى فى عبادى اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين وادخلى جنتى قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى قال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الاخرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة البلد

مكية وهى عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثماية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم فى اول سورة القيامة والبلد هو مكة فى قول جميع المفسرين وانت حل بهذا البلد اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك اى تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم فى استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس ابن صبابة وغيرهما فاحل دما قوم وحرم دما قوم اخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فلم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)